في كل ليلة حكاية

٨

سبقك بها عكاشة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

المُهندسُ (أَحمد) يُحبُّ مُطَالعةَ الكُتبِ التي تَبحثُ في الأُمورِ التَّاريخيَّةِ ، فهوَ شَابٌّ متفَتِّحٌ يمارسُ الهَندسةَ.. ولكنَّه دَائماً يزوِّدُ نَفسهُ بالمَعلوماتِ المهمَّة كلَّما سَنَحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ.

وَفي يومِ الإثنينِ المَاضي اشتَرى من إِحدَى المَكْتباتِ الإسلاميَّةِ كِتَاباً يتحدَّثُ عن بعضِ عُلماءِ التَّاريخِ.

وَبعدَ صَلاةِ العشَاءِ استلقَى على سَريرِهِ ليرتَاحَ من عناءِ وَمشقَّةِ ذلكَ اليومِ ، فَفطنَ إلى الكِتابِ ، فَأخذَهُ من المكتَبةِ.. وَراحَ يقرأُ فيهِ...

وَكانتْ أولى قصَصِهِ مَا يَلي:

«سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةَ»

فِي صَحيحِ البُخاريِّ بالسَّندِ المُتَّصلِ إلى عَبد الله بن عبَّاسٍ رَضيَ الله عنهما قَالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «عُرضتْ عليَّ الأُممُ ، فَأخذَ النَّبيُّ يَمرُّ مَعه الأمَّةُ ، والنَّبيُّ يمرُّ معهُ العَشرةُ ، والنَّبيُّ يمرُّ معهُ الخَمسةُ ، والنَّبيُّ يمرُّ وحدهُ ، فَنظرتُ فإذا سَوادٌ كثيرٌ ، قلتُ: يا جِبريل ! هَؤلاء أمَّتي؟».

قالَ: لا ، وَلكن انظُر إلى الأُفقِ ، فَنظرتُ ، فَإذا سَوادٌ كثيرٌ.

قَالَ: هَؤلاء أمَّتكَ ، وَهؤلاءِ سَبعونَ أَلفاً قدَّامهُم لا حسابَ عليهِم ولا عَذاب. قلتُ: وَلم؟

قَالَ: «كَانُوا لا يَكتوونَ ، ولاَ يَسْتَرْقُونَ ،

ولا يتطيَّرونَ ، وعلى رَبِّهم يَتوكَّلُونَ»[1].

فَقام إليه عُكَّاشةُ بن محصن فَقال: ادعُ اللهَ أن يَجْعَلَنِي منهُم.

قَالَ: «اللَّهمَّ اجْعَلْهُ مِنهُم».

ثُمَّ قامَ إليه رَجلٌ آخرُ فَقال: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهُم.

قَالَ: «سَبَقَكَ بهَا عُكَّاشَة».

فَحملَ (أَحمد) الكِتابَ، وَخرجَ إلى صَالونِ البَيْتِ لِيَسْتَفسرَ من والدتِهِ (أم أحَمد) وهي المتخصِّصةُ في مادَّة التَّاريخِ الإسلاميِّ.. ، أَرادَ أن يفهمَ مِنْها مَزيداً عن حياةِ الصَّحابيِّ الجليلِ عُكَّاشَة.. والذي بَشَّره رَسولُ الله ﷺ بالجنَّةِ.

لكنَّه لمْ يجدْ أَحداً في البَيتِ.. فَخرجَ إلى

---

(١) يراجع فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٧٢.

طَرفِ الحَديقةِ.. فَسمعَ أَصواتَ إخوتهِ وَأولادِ خَالتهِ.. فَناداهُم: هَلْ شَاهدَ أحدٌ منكُم وَالدتِي؟

أَجابتْ (سَميرةُ): نَعم هيَ هُنا.. تَنْتَظِرُكَ.. وَتنتظرُ أَخي (سَعيد) كي تَحكِي لَنا حِكايةً جَديدةً من حكاياتِها الرَّائعةِ..

وَبالفعلِ انطلقَ (أَحمد) إلى حيثُ يَجلسُ الجميعُ.. فَسلَّم عليهم ثُمَّ قالَ لوالدتهِ: كُنتُ أريدُ أن أَستفسرَ منكِ عن وَاحدٍ بشَّره رَسولُ الله بالجنَّةِ.. إنَّه الصَّحابيُّ الجليلُ (عُكَّاشة بن محصَن) رَضيَ اللهُ عنهُ...

ابتسمتْ وَالدتهُ وقالتْ: تَعالَ يا أَحمد.. وانظرْ إلى هَذهِ الوُريقاتِ المُتنَاثرةِ لقدْ أَردتُ أنْ تكونَ حِكايتنَا لهذهِ اللَّيلةِ عن عُكَّاشَةَ رضيَ اللهُ عنهُ..!!

والتفتْ (أَحمد) فَرأى أَوراقاً كُتبَ عليهَا

بالخَطِّ العَريضِ: (عُودٌ من الحَطبِ يعطيهِ رَسولُ الله لعكاشةَ فيتحوَّلُ إلى سَيفٍ قَويٍّ!!!)...

فَقالَ بكلِّ تعجُّبٍ: مَا هذا يا أُمِّي؟ كيفَ حدثَ ذَلكَ؟

قَالتْ: الآن يَا بنيَّ تسمعُ كلَّ الحكايةِ:

من السَّابقينَ الأَوّلين...

والتَفَّ الأولادُ حولَ (أُمّ أحمد) وَراحُوا يَسْتَمِعُونَ إلى الحكَايةِ الجديدةِ.

فَقالتْ (أمّ أحمد): وَالآن نبدأُ الحِكايةَ بالبَسمَلةِ والحَمدلة والصَّلاةِ على النَّبيِّ الأَنْورِ ﷺ ، ثُمَّ نَقولُ:

لمَّا وصلَ خَبر دَعوة رَسول الله إلى أَسماعِ (عُكَّاشَةَ) انطلقَ إليهِ يستفسرُ عن تلكمُ المَسألةِ.

وكانَ عمرهُ لا يتجاوزُ العِشرينَ من

السَّنواتِ.. لمَّا سَمعَ قرآناً عَجيباً يَهدي إلى الرُّشدِ آمنَ به وبما جَاءَ بهِ رسُولُ الله ﷺ.

لذلكَ يُعتبرُ (عُكاشة) وَاحداً من أَهلِ السَّبقِ إلى إعلانِ الإسلامِ.. وَخضعَ إلى عمليَّاتِ التَّعذيبِ و.. لكنَّه صَبرَ وتحمَّل الشَّيءَ الكَثيرَ... حتَّى إذا ما كانتِ الهِجرةُ من مكَّة المكرَّمةِ إلى المَدينَةِ المنوَّرةِ.. هَاجرَ مع زَوجتهِ وَجميع أَهلهِ ، تَاركاً وَراءَهُ كلَّ الدُّنيا وَزُخْرُفِها ، رَاجياً من ذلكَ تَحقِيقَ رِضَا الله سُبحَانَهُ.

في سَرية نَخلةَ..

وَفي السَّنةِ الثَّانيةِ للهجرةِ النَّبويَّة بعثَ رَسولُ الله ﷺ (عبدَ اللهِ بن جَحشٍ الأسَديّ) ومعه ثَمانيةُ أبَطالٍ منهم (عُكَّاشَة) ، أَرسلهم إلى مكانٍ يُدعَى نَخْلة ، وكتبَ كِتاباً أعطاهُ عبد الله ، وأمرهُ

أن ينظرَ في الكِتابِ بَعْدَ أَنْ يسيرَ يَومينِ!

وَسارَتِ الجمَاعةُ يومَيْنِ كَاملينِ ، وبعدهَا فَتحَ (عبدُ الله) الكِتابَ فإذا فيهِ: «إِذَا نظرتَ في كِتابي هَذا، فامضِ حتَّى تَنزلَ نَخْلةَ بين مكَّة والطَّائفِ ، فترصَّد بها عِيرَ قُريشٍ ، وَتَعلم لنا من أخبارِهم».

فَأخذَ (عبدُ الله) كتابَ رسول اللهِ ووضَعهُ على رَأسهِ وقالَ: سَمعاً وطَاعةً لِمَا يأتي من اللهِ وَرَسولهِ.

وَاستشارَ القَومَ.. وأعَطاهُمْ حرِّيةَ الاختيارِ.. فالمهمَّةُ جدُّ خَطِيرة.. فمنْ أَحبَّ الشَّهادةَ فَليقفْ إلى جِواري ، ومن كَرِهَ الموتَ فليرجِعْ إلى زوجتِهِ وَأولادِهِ.

وَنهضَ الجميعُ وهم يَقولُونَ: مَرحباً بالمَوتِ إذا كانَ في سَبيلِ اللهِ تَعالى.

وفي اليوم الثَّاني مَرَّتْ قَافلةٌ لِقريشٍ ، تَحمِلُ

بعضَ الموادِّ التَّموينيَّةِ كَالدَّقيقِ والزَّبيبِ.

وَكانَ في القَافلةِ: عبدُ الله بن الحَضْرميِّ، وعُثمانُ وَنوَفل ابنا عَبد الله بن المُغيرةِ، والحَكَم ابن كَيسَان..

فَقالَ واحدٌ من المُسْلمينَ: ومَاذا نفعلُ ونحنُ في رَجب وهوَ من الأَشهرِ الحُرُمِ؟

فَتشَاوروا فيما بَينهُم، ثُمَّ اتَّفقُوا عَلى أَسْرِهِم وَمصَادَرة ما في القَافلةِ..

وبِالفعلِ قُتلَ عَمرو بن الحَضْرميِّ، وأُسِرَ عُثمان والحَكَم، وهربَ نَوفل..!

فَما كَان من الصَّحابةِ الكِرامِ إلاَّ أن سَاقُوا العِيرَ إلى المَدينةِ المنوَّرةِ، فلمَّا أُخبرَ رَسولُ الله ﷺ بالأمرِ.. أَنكرهُ قَائلاً: «مَا أمرتكُم بِقتالٍ في الشَّهرِ الحَرامِ».

ولكنَّ الله تَعالى حَسَمَ المسألةَ لصالحِ

الصَّحابةِ الأَبطالِ ، فَأنزلَ آياتٍ تُتلى إلى يَوم القِيامَةِ ، بيَّن من خِلالِها العملَ الرَّائعَ الذي قامَ به أولئكُم الصَّفوةُ من الصَّحابةِ ، قالَ تَعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧ ـ ٢١٨].

عُودٌ يُصْبحُ سَيفاً!!

تَابعتْ (أمّ أحمد) حكايتَها الرَّائعةَ:

وفي السَّنةِ الثَّانيةِ من الهِجْرَةِ وَقعتْ مَعركةُ بدَرٍ ، فكانَ (عُكَّاشَةُ) أَحدَ الأَبطالِ البَواسلِ ، لَكنَّ الذي حَدثَ شيءٌ يَدْعُو إلى التَّعجُّبِ!

رَوى كُتَّابُ السِّيرِ والتَّاريخِ ، ومنهُم الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

إنَّ (عكاشةَ) وفي وَسطِ مَعْمعةِ المَعركَةِ ، كانَ يصولُ ويَجولُ ، يَطعنُ ويضربُ ويقتلُ ويدافعُ عَن الرَّسولِ ﷺ.

وفجأةً إذا بالسَّيفِ ينكسرُ بين يديهِ.. وحارَ.. مَاذا يَفعل .. أينسَحِب؟

أبَداً ، إنَّه مُستعدٌّ لأن يقاتلَ بيديهِ ، ولا يفكِّر بالانسحَابِ!!

والتفتَ رَسولُ الله إلى (عُكَّاشةَ) فَرآه قد وقَعَ في حيرةٍ فناداهُ.. وَأعطاهُ عُوْداً من شَجرةٍ غَليظةٍ وَقالَ لهُ:

«قَاتِلْ بهذَا يَا عُكَّاشَة».

ودون تَـردُّدٍ.. ولاَ شـكٍّ أَبـداً.. حَمـلَ العُـودَ وَانطلقَ يقاتلُ في سَبيلِ اللهِ..

وَبعدَ انتهاءِ المَعْركةِ نَظرَ في العُودِ فإذا هوَ سَيفٌ طَويلٌ ، شَديدُ المتَانَةِ ، أَبيضُ اللَّونِ ، فَقالَ: هذا هوَ (العَوْن)!!

أَجلْ!

إنَّه التَّسليمُ المُطْلَقُ أَمام اللهِ وَرسولهِ. ولِذلكَ فَازُوا في الدُّنيا والآخِرةِ:

﴿... وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

بِهَذا السَّيفِ النَّبويّ انطلقَ (عُكَّاشَةُ) يُقاتِل هُنا وهناكَ.. فَقدِ اشتركَ في كلِّ المَعاركِ ، وعُرفَ عنهُ التَّضحيةُ والفداءُ وحبّ الجهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى.

أَلا يَكْفِيهِ فَخْراً أنَّه من المبشَّرينَ بالجَنَّةِ؟ وأنَّه من الذين حَضَرُوا بَيعةَ الرّضوانِ:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[الفتح: ١٨ ـ ١٩].

أَجلْ! هَل تَنسى الأَجيالُ سلَفهَا الصَّالحَ؟!

حِينَ أغارَ (عُيينةَ بن حصْن الفَزاريّ) على مَدينة رَسولِ الله ، وكانَ ذلكَ في السَّنةِ السَّادسةِ منَ الهِجْرةِ.

صَعِدَ الصَّحابيُّ الجَليلُ (سَلمةُ بن الأَكوعِ) جَبلاً صَغيراً ونَادى: يا خَيلَ اللهِ ارْكَبِي!!

وانطَلقَ الفرسانُ الأَبطالُ لمقَاتلةِ العَدوِّ ، وكانَ في مُقدِّمتِهم (عُكَّاشَة) ، فَرأى في طَريقِهِ

فَـارسَيْـنِ..فَضـرَبهمَـا بِطَعنـةٍ وَاحـدةٍ بـالـرّمـحِ فَقتلَهُمَا..!!

وَصدقَ الشَّاعِرُ عِندَما صَوَّر ذلكَ بِقولهِ:

قَـالـوا أَينظـمُ فَـارسَيـن بِطَعنـةٍ
وَقْـــتَ النِّـــزالِ ولا أراهُ قَليـــلا
لاَ تَعجبـوا لَـو كـانَ مَـدُّ قنـاتِـهِ
ميـــلاً إذاً نظـــمَ الفَـــوارِسَ مِيـــلا

إلى طَريقِ الخُلدِ..

وَبعدَ انتقالِ رَسولِ اللهِ إلى الرَّفيقِ الأَعلى..

اشتَركَ (عُكَّاشةُ) في حُروبِ الرِّدَّةِ تحتَ قيادةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق.

وَفي أَجواءِ مَعاركِ الرِّدَّةِ سَقطَ (عُكَّاشَةُ) شَهيداً مُبشَّراً بجنَّةِ الخُلدِ. فَهنيئاً لكَ يا عُكَّاشَةُ.. وَجَعلنَا اللهُ من السَّائرينَ على الطَّريقِ القَويمِ:

وَتُرَتِّلُ (سُعادُ) قَوله تَعالى:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

[الأحزاب: ٢٣].

والحمدُ لله ربِّ العَالمِين